مقدمة الطبعة الأولى

حظي موضوع تاريخ العلوم عند العرب والمسلمين بعناية كبيرة في النصف الأول من القرن العشرين سواء من طرق المستشرقين الأوروبيين والأمريكيين وغيرهم أم من قبل بعض الكتاب العرب والمسلمين، وظهر عدد لا بأس به من المؤلفات تحاول التأريخ لحركة العلوم وتطورها منذ بداية الحضارة العربية الإسلامية وحتى القرون المتأخرة عنها. وقد ألقت هذه المؤلفات والدراسات الكثير من الضوء على الحركة العلمية العربية في القرون الوسطى خاصة، عندما كانت الحضارة الإسلامية في قمة مجدها العلمي والثقافي والسياسي أيضاً، وقدمت للقراء معلومات كانت إلى وقت قريب غائبة عنهم. واستمر ظهور المؤلفات والأعمال التي تدرس في تاريخ العلم العربي بعد ذلك في الستينيات والسبعينيات، إلاّ أننا نلاحظ الفتور في مثل هذه الدراسات فيما بعد هذه الفترة وإن لم تنقطع نهائياً، حيث نرى بين الحين والحين بعض الأعمال على اختلاف مستوياتها الجيد والمتوسط وغيره، تظهر في المكتبات وفي دور النشر. ومن خلال اطلاعنا على عدد كبير منها ـ حيث لا يمكن الإلمام بها جميعاً، لنفاد طبعات بعضها ولعدم وصول الكثير منها إلى أيدينا بسبب عدة عوامل ـ لاحظنا أن أغلب الأعمال تنصب على البحث في العلوم ذاتها، بينما يعالج قليل منها البيئة العلمية التي أنتجت هذه العلوم وساهمت في تقدمها حتى وصلت إلى ما وصلت إليه من عظمة خلال مدة من الزمن تزيد عن ثمانية قرون، تجلت فيها عظمة الفكر الإنساني في إبداعه وابتكاره، والإشعاع العلمي والثقافي يمتد من العالم الإسلامي إلى كثير من البلدان الأخرى في أوروبا وآسيا وأفريقيا.

وفي محاولة لسد بعض النقص أخذنا على عاتقنا وضع هذا الكتاب الذي عالجنا فيه عدداً من الموضوعات فيما يخص البيئة العلمية التي كانت أساس التقدم العلمي للحضارة الإسلامية، ولم نركز كثيراً على العلوم ذاتها، باستثناء الحديث

بإيجاز عن ثلاثة من أهم موضوعات العلوم عند العرب والمسلمين، وهي: الطب والرياضيات وعلم الكيمياء، وهي جميعها من الموضوعات أو من العلوم التي اهتم بها العرب والمسلمون، نظراً لحاجة المجتمع الإسلامي إليها ربما أكثر من غيرها من العلوم الأخرى التي كان لها شأن هام أيضاً كالطبيعة، والفلك وغيرهما.

وجميع الموضوعات التي تناولناها في هذا العمل، تناولناها بإيجاز محاولين تقديم ما نراه من معلومات هامة للقارئ بعيداً عن الحشو الذي يزيد الأمر تعقيداً في كثير من الأحيان ولا داعي له البتة.

ومن الموضوعات التي ضمها هذا الكتاب موضوع الدعوة إلى العلم في الإسلام، وفيه ذكرنا عدداً من الآيات القرآنية السامية التي تحث المسلمين على التعلم وطلب العلم بقوة، وعدداً من الأحاديث النبوية الشريفة التي اخترنا بعضاً منها، حيث إن أحاديث الرسول ﷺ في هذا الشأن كثيرة؛ ثم تطرقنا إلى ذكر بعض الأقوال المأثورة للحكماء والقادة، وبعض الأبيات الشعرية التي توضح دعوة الإسلام للأخذ بأسباب العلم.

ومنها أيضاً موضوع تشجيع العلم في الحضارة الإسلامية، وفيه ألقينا نظرة على ما كان يلقاه العلماء المسلمون من تشجيع مادي ومعنوي كان له أثره في تقدم العلوم في الحضارة الإسلامية، وحفز همم العلماء على العطاء العلمي دون كلل أو ملل.

ومنها موضوع المؤسسات التعليمية التي كانت سائدة منذ بداية الإسلام وما بعدها كالمساجد والكتاتيب والمجالس العلمية، ثم المدارس التي كان لها دور بارز في تعليم المسمين ونشر العلم والثقافة بين الناس في كل مكان، والطرق التعليمية التي كانت متبعة في ذلك الوقت.

ثم كان الحديث عن حركة الترجمة والنقل وأسبابها ودوافعها ونتائجها، وأعلام هذه الحركة التي عرف من خلالها المجتمع الإسلامي ثقافات الشعوب الأخرى؛ كاليونان والهند وفارس وغيرها، وأهم العلوم التي ترجمها العرب والمسلمون إلى اللغة العربية وآثار هذه الحركة.

ومنها موضوع حركة التأليف والنشر في الحضارة الإسلامية، حيث كانت الكتب تنسخ بالآلاف في دكاكين الوراقين التي كانت تقوم مقام دور النشر في العصر الحاضر، وما كان للوراقين من دور في نشر الكتاب العربي في كل أرجاء العالم الإسلامي من الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً.

ومنها كذلك المكتبات الإسلامية التي كانت مؤسسات ثقافية علمية تعليمية، تزخر بمئات الآلاف من الكتب في كل فروع المعرفة، وتمد الباحثين بالمعلومات التي يحتاجون إليها، وأنواع هذه المكتبات وأشهرها.

ومنها أيضاً موضوع المراكز العلمية والثقافية، حيث تحدثنا بإيجاز عن عدد كبير من المراكز التي ازدهرت فيها حركة العلم والمعرفة في كل أرجاء الدولة الإسلامية، ودور كل مركز منها في دعم الأساس العلمي للحضارة الإسلامية مثل المدينة المنورة ومكة المكرمة، وبغداد، والقاهرة ودمشق والقيروان وفاس وقرطبة وغيرها من المراكز الأخرى.

ثم تحدثنا عن موضوع هو أفقر الموضوعات في حركة تاريخ العلوم عند العرب والمسلمين، وأقلها حظاً من جانب الكتاب والمؤرخين، وهو موضوع تصنيف العلوم عند العلماء العرب والمسلمين، حيث عرضنا إلى تقسيم العلوم عند عدد من العلماء المسلمين مثل جابر بن حيان والفارابي ثم طاش كبرى زادة. وعلى الرغم من أن هناك أسماء أخرى كان لها أثرها في هذا المجال من العلماء العرب والمسلمين إلاَّ أننا أخذنا هذه الأسماء لأن الأول ـ جابر بن حيان ـ كان هو المبتدئ في الاشتغال بتقسيم العلوم، والثاني ـ الفارابي ـ يعتبر أشهرهم، والثالث ـ طاش كبرى زادة ـ هو الذي جعل تصنيف العلوم علماً مستقلاً. وقد تناولنا هذا الموضوع من ناحية وصفية لا دخل فيها للمقارنة بين العلماء الذين لهم إسهامات في هذا المجال.

وفي القسم الأخير تناولنا بالدراسة الموجزة العلوم وتطورها، ثم سلطنا بعض الضوء على علم الطب وما قدمه العرب والمسلمون فيه من مآثر عظيمة، وما قدموه

فيه للإنسانية من خدمات جليلة لا تزال موضوع اعتراف بالفضل لهم، ثم عرضنا لعدد من الأطباء الذين اشتهروا في الحضارة الإسلامية، وما كان لهم من مجهودات كبيرة وإسهامات لا تقدر بثمن في العديد من فروع الطب التي كانت معروفة، وآثار هؤلاء وما كان لها من أثر على الطب في عصر النهضة الأوروبية والحضارة الحديثة، وكذلك الحال بالنسبة للعلوم الرياضية. فعرضنا بإيجاز إلى ما قدمه العلماء العرب والمسلمون في العلوم الرياضية، من حساب وجبر وهندسة وغيرها من ابتكارات واكتشافات، ودور هذه العلوم في تقدم بعض فروع العلم الأخرى كالفلك، وكيف انتقلت الرياضيات العربية إلى أوروبا وأثر ذلك على تقدم العلوم الرياضية حتى وقتنا الحاضر. والفصل الأخير كان لعلم الكيمياء العربي وأشهر أعلامه.

إن هذا العمل الذي بين أيدينا هو محاولة أخرى من المحاولات التي تهدف إلى إثراء الدراسات العلمية من أجل كتابة تاريخ شامل للعلوم والتقدم العلمي في زمن الحضارة العربية الإسلامية، والسعي إلى توضيح دور الحضارة الإسلامية في تقدم البشرية وخروجها من ظلام الجهل إلى نور المعرفة والعلم والثقافة.

وما توفيقي إلا بالله العزيز الحكيم عليه توكلت ومنه أطلب العفو إن قصرت.

﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾

صدق الله العظيم

مفتاح محمد دياب طرابلس، 1990

مقدمة الطبعة الثانية

عزيزي القارئ

هذه هي الطبعة الثانية لهذا الكتاب احتوت على الموضوعات السابقة بالإضافة إلى موضوع جديد هو التراث العلمي العربي في الجغرافيا وتطوره في الحضارة الإسلامية، وزيادة كبيرة في قائمة الإنتاج الفكري في تاريخ العلوم عند العرب والمسلمين، وهي ببليوغرافية مختارة من الدراسات التي نشرت خلال الفترة من عام 1950 وحتى عام 2002 مسيحي، وهي ذات فائدة كبيرة وقيمة هامة للباحثين والدارسين لتاريخ العلوم عند العرب والمسلمين.

ونسأل الله سبحانه التوفيق لما فيه خير الأمة العربية والإسلامية إنه نعم المولى ونعم النصير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

دكتور مفتاح محمد دياب

طرابلس، ليبيا في 15/ 3/ 2003 مسيحي